المحاضرة الثالثة: مستلزمات التغير من خلال الحركات الاجتماعية

مما لاشك فيه أن للنظام السياسي قوى أمنية وعسكرية وذخيرة اجتماعية"انصار وحلفاء" تمثل أصحاب المصالح الذاتية والمواقع الرسمية المنصبين من قبل النظام الحاكم وحزبه الناطقين باسم الحاكم والمؤيدين له والمنتفعين "ماديا ومعنويا وسلطويا"منه ليس من صالحهم الاحتجاج على سياستهم وقراراتهم ومواقفهم وكل معارضة تظهر ضدهم يمنعونها او يقمعونها من النسيج الاجتماعي.

وبالمقابل تمتلك الجماهير المحتجة والحركات المعارضة مواقف متضررة من سياسة النظام في مجال سبل العيش والغلاء والبطالة والفساد السياسي والإداري والمالي والاستئثار بالسلطة يوازرها ذخيرة اجتماعية تعاني مما تطالب به الجماهير والحركات.

معنى ذلك ان هناك تنازع قوتين اجتماعيتين غير متكافئتين حجما وقوة، تمتلك القوة الأولى"النظام الحاكم" آليات القمع والردع وتمتلك الثانية الجماهير والحركات ورصد السلبيات والاعتراض عليها وفضح الممارسات الفاسدة والظالمة والظاهرة.

لكن إذا حصل:

1-تنامي الفساد السياسي والمالي والإداري

2-ترهل الأجهزة الرسمية بالمخبرين الأمنيين

3-اتساع الفجوة بين رجال السلطة والعامة من الناس

4-ارتفاع مستوى المعيشة

5-البطالة والفقر

6-تناميى الإنفاق الحكومي على الإعلام الرئاسي في تلميع صورة الحاكم

7-تناقض الذخيرة الاجتماعية للنظام" من قبل أنصارهم وحلفائهم".

هذا على صعيد قوى نظام الحكم إما على صعيد قوى الجماهير والحركات الاجتماعية فانه يتطلب:

1-استمرار الأفعال الاحتجاجية على سلبيات النظام بشكل علني.

2-تنامي أعداد الذخيرة الاجتماعية " من الحلفاء والأنصار والمؤيدين"المتضررين من فساد نظام الحكم.

3-تنظيم الجماهير و إيصالها إلى حالة النضج الواعي بما يحصل لها وحولها.

4-وجود قيادات واعية تعمل من اجل الجماهير لا من اجلها الشخصي.

5-استغلال الأحداث المتأزمة لنشرها بين الجماهير.

6-تغليب مصالح المتضررين اقتصاديا وعرقيا ودينيا على شعارات الحركة.

7-استغلال الأزمات السياسية التي يواجهها نظام الحكم من اجل زعزعة أركانه في بنيان المجتمع.

عند توفر هذه المستلزمات عند القوتين عندها يكون احتمال وقوع التغير ممكنا، لكن اذا لم تتحقق هذه المستلزمات عند الطرفين" اي وجودها في الطرف الثاني وغيابها في الطرف الأول " فان مدة النزاع بينهما سوف تطول وتمتد لمدة أطول ويزداد عدد قرابين التغير "عند الطرف الثاني"ويزداد عدد ضحايا التغير"عند

الطرف الأول"ويبتعد تطبيق شعارات وأهداف الجماهير والحركات عندئذ يصبح التغير حلما عسير التحقيق عند الجماهير والحركات الاجتماعية، و لا يعني وجود حركات اجتماعية يؤدي تلقائيا الى إحداث تغيير بل يتطلب ذلك مصاحبة استمرا الاحتجاجات واستغلال الأزمات وتنامي الفساد الرسمي والاضطهاد السياسي والبطالة والفقر.

منطلقات الحركات الاجتماعية الجديدة :

عندما تكون هناك علاقة جدلية بين الحركات الاجتماعية والتغير الاجتماعي فان ذلك يعني تغيرا في منطلقات وأهداف الحركات الاجتماعية لان المجتمع في تغير دائم وتبدل مستمر في أهدافه ومصالحه لذا لا يمكن أن نضع قواعد دائمة وثابتة وجامدة تنطبق على نشوء جميع الحركات الاجتماعية .لذا نستطيع القول بان الحركات الاجتماعية والتغير الاجتماعي لا يلتقيان مع الركود والجمود، بل مع التجديد والاستمرار مع مستلزمات الحياة اليومية والاجتماعية ومع الناشطين والمجددين مع المحافظين والتقليديين.

الذي يستعرض مراحل تكوين الحركات الاجتماعية المعاصرة السائدة في المجتمعات الإنسانية الحديثة يجدها حطمت الحواجز القومية والايديولوجية، التي كانت تنطلق منها في العصور الماضية واستبدلتها بالافق العالمي لتقييم تحالفات دولية مع غيرها من الحركات بهدف مناهضة الليبيرالية الجديدة وكبح جماحها والوقوف بوجه مشاريع العولمة الهادفة إلى استعباد الشعوب ونهب خيراتها تحت مبرر عولمتها وربطها بالحركة الجديدة وانتشالها من اضطهاد أنظمتها السياسية .

وقد تعددت هذه الحركات في مسمياتها وأساليبها لكن البعض منها يشترك في الهدف والماهية السياسية ومن الحركات والتنظيمات التي يحفل بها العالم الإسلامي :

تعتبر القضية الفلسطينية والحرب الطاحنة التي شنتها إسرائيل ضد الفلسطينيين واحتلال أمريكا وحلفائها أفغانستان وارتباط الأنظمة السياسية العربية بالسياسة العالمية والمشكلات السياسية التي تعاني منها شرائح واسعة من العالم الإسلامي،كل هذه الأسباب ولدت ردة فعل خطيرة تبلورت في ظهور حركات اجتماعية جديدة، لكن ليست كل هذه الحركات صائبة في خياراتها واستراتيجياتها وأساليبها الكفاحية ، فبعض من هذه الحركات اتخذت التطرف والتكفير والعنف والإرهاب أساليب لمعالجة أزماتها لاغية الأسلوب السلمي في الدفاع عن الحقوق والحريات ، وقد أدى ذلك إلى استفحال نزعة العنف واتساع نطاقها خاصة في بلدان العالم الإسلامي، وأوضح مثال ما مارسته هذه الحركات من أعمال إرهابية دموية مكثفة في العراق مثلا و أفغانستان بحجة مقاومة المحتلين لكنها تخطت الحدود باستهدافها الأبرياء وإشعال نار الفتنة الطائفية مما جعلها محل رفض من قبل أطياف عديدة من مواطني هذه البلدان.

أما في اروبا فالحركات الاجتماعية الجديدة ومنها المنتدى الاجتماعي الأوروبي وهو منتدى مناهض للبرالية الجديدة الذي يهدف إلى استقطاب ناشطين مدنيين من كل الشعوب والبلدان ويشاركون معا في إصلاح الواقع العالمي المتردي بسبب ثقافة العولمة بدءا من المشاركة الفاعلة في معارضة سياسات الشركات الكبرى الاقتصادية والمطالبة بفرض ضرائب على أرباحها وإنتاجها ، ومن ثم توظيف هذه الضرائب في تحسين الظروف المعيشية لبعض سكان العالم من الفقراء والمحرومين أو تقديم خدمات صحية أو بيئية لهم،

ومن فعاليات هذا المنتدى مشاركة الملايين من أعضائها في مظاهرات مناهضة للحرب على العراق عام 2003 من قبل أمريكا وحلفائها.

ويبدو أن هذه المنتديات الاجتماعية لعبت دورا مهما في تنشئة المجتمع المدني العالمي والترويج لأدبياته وأخلاقياته التي تتسم بالسمة العالمية ، ونتيجة لذلك تكون قد ساهمت في إحداث أولى درجات التغير الاجتماعي على المستوى العالمي ومهدت الى تبلور علاقات اجتماعية مدنية تتخطى الحدود السياسية والقومية والطائفية والعرقية، مما يؤشر الى تقارب الشعوب والقوميات بمرور الزمن وتوحدها ووقوفها سدا منيعا ضد مشاريع العولمة أو الليبرالية الجديدة التي تهدد وجود ونمو المجتمع المدني العالمي لأن أكثر مشاريعها تهدف الى القضاء على القيم الأخلاقية للأمم والشعوب وإحلال قيم العولمة الثقافية الامريكية مثلا أو غيرها من الدول المتنفذة سياسيا واقتصاديا في العالم التي تعمل على خلق شخصية اجتماعية ازدواجية الاتجاه حين تنكب على استهلاك قيم العولمة والذوبان فيها وهذا التحول لو تحقق بصورة واسعة فإنه يشكل خطرا كبيرا على مستقبل الثقافة العالمية بصورة واسعة لأن غاية العولمة تحطيم المميزات الثقافية للشعوب وتحويل العالم ألى منطقة استهلاكية واحدة فاقدة للتنوع الثقافي والحضاري.

محددات الحركات الاجتماعية:

يرى "تشارلز تيلي" في كتابه بعنوان:« من التعبئة الى الثورة» أن هناك عدة متغيرات تتحكم في العمل الجماعي و التي تستخدمها الحركات الإجتماعية لبلوغ أهدافها، وذلك من خلال النموذج الذي عرضه، مبينا فيه خمسة متغيرات كبيرة تتحكم في العمل الجماعي وهي: المصلحة، والتنظيم، والتعبية، و الفرصة، والعمل الجماعي.

ففي المصلحة ركز "تيلي" على أوجه المكسب والخسارة الناجمة عن تفاعل حركة ما مع حركات أخرى. وفي "التنظم" إهتم ببناء الحركة الذي يؤثر مباشرة على قدراتها العملية لتحقيق مصلحتها. وأما "التعبئة"، فقد أشار إلى أنها العملية التي بمقتضاها تكتسب الحركة السيطرة على الموارد التي تحتاجها. و أوضح أن ما يعنيه في تحليله ل"لفرصة" هو العلاقة بين الحركة و العالم المحيط بها. وأما "العمل الجماعي" فهو يتكون من عمل الأعضاء مجتمعين في إتجاه السعي نحو المصالح المشتركة، كما أوضح أن العمل الجماعي ينتج من المزج بين المتغيرات الأربعة السابقة.